

توحيد المصطلحات

د محمد العناسوة مجمع اللغة العربية (الأردن)

ملخص :

مضى قرن من الزمان، وما زلنا نبحث الموضوع ذاته « منهجية وضع المصطلح العربي وتوحيده وسبل نشره » ونقف منه موقف الحيرة، ونحن نرى أساتذة كباراً يستعملون ألفاظاً وأوضاعاً لم تنص عليها معاجم اللغة أو هي تخالف ما استعمله القدماء، وحرى بنا أن نتساءل: هل يعتبر توسع المحدثين في ذلك خطأً يجب تجنبه، أو تطوراً مفيداً لا غنى عنه؟ هل يعتبر عدم شيوع المصطلح العربي أو توحيده ظاهرة صحية، أم مسألة طارئة تحتاج إلى دراسة وحلول؟ هل كان القرن الماضي بكل ما فيه من جهود وإمكانات لا يكفي لاقفال باب البحث في هذا الموضوع؟ أم أن المؤسسات العلمية العربية ومجامع اللغة العربية قصرت في وضع الحلول المناسبة لقضية المصطلح العربي؟ وهل يعني ذلك أننا بحاجة إلى قرن آخر من الزمان ليزيل حيرتنا ويفتح أمامنا سبل الهداية والصواب؟!

عصر المعلومات :

نحن نعيش عصر المتغيرات، ونعاصر زمن المعلومات، نتعامل مع الأرقام والرموز بأنواعها ومع النص والصوت والصورة، ومع المكتوب والمنطوق، ومع المحسوس واللامحسوس، نتعامل مع العقل ومع الفرد، مع العناصر المادية الظاهرة، والأسرار البيولوجية والسيكولوجية الدفينة، مع المحدد، والقاطع والواقعي، مع المستحيل والمحتمل والممكن. وكل هذه التكنولوجيات بقدراتها العجيبة وخصائصها، تنتشر تطبيقاتها في كل اتجاه بمعدلات متسارعة من غرف العمليات إلى غرف المعيشة، ومن المفاعلات الذرية إلى أدوات المطبخ ومن المكتب والمصنع والمدرسة إلى العالم كله على اتساعه، فأين هو موقعنا في وضع المصطلح العربي المقابل لهذا الشلال الهادر من المعلومات وما هي سبل توحيده ونحن لم نتوحد بعد؟ لم نتفق بعد؟ ألم نختلف بعد؟ لقد أضاع العرب فرصاً كثيرة في القرن الماضي لكي يحققوا نمواً مطرداً في مجالات كثيرة، إلا أنهم نتيجة عوامل كثيرة لا مجال لتعدادها الآن، تخلفوا عن الركب الحضاري وأصبحوا تابعين أو مستهلكين لنظم المعلومات والتكنولوجيا بجميع أشكاله، وهذا ما أشار إليه المفكر البريطاني (بول جونسون) حين قال: لقد ضيع العالم العربي فرصته الكبيرة التي سنحت له مع طفرة الازدهار النفطي، لقد كان بوسع العرب أن يطوروا أنفسهم وكان بمقدرتهم أن ينتقلوا

بفكرهم إلى العصر الحديث، وكان بإمكانهم أن يستحدثوا نظاماً اقتصادياً وصناعياً خاصاً بهم، ولكنهم لم ينجزوا هذه المهام، وأنا أتوقع أن يدخل العالم العربي القرن الواحد والعشرين وهم أقل أهمية مما كانوا عليه في السابق. ولا شك أن هذا كلام قاس على الأسماع، لكننا لم نكون كالنعامة التي تضع رأسها في الرمال، ظانة أنها في منأى عن أنظار الآخرين، فالآخرون يعرفون أحوالنا أكثر منا، وعوامل التجزئة التي فتكت في الجسم العربي في العقد الأخير من القرن العشرين بعد حرب الخليج الأولى والثانية أثرت تأثيراً كبيراً في تخلف الوطن العربي عن الركب الحضاري العالمي، ووضعت في إشكالات ومأزق شديدة الحرج.

هموم كبيرة:

ولا يغيب عن البال، أن عالمنا العربي الكبير همومه كبيرة بحجم مساحته، فأجيال الشباب تعاني من الروتين القاتل للإبداع، ويتفرع من هذا الروتين أزمات في الفكر، في التربية والاقتصاد، حيث نجد المعلومة الثقافية العربية شبه غائبة أو مغيبة وإذا وجدت فهي من مصادر غربية أو استشراقية لا تفي بالغرض المطلوب، وما زالت كمية المعلومات العربية ونوعيتها على شبكة الانترنت ضئيلة جداً بالقياس إلى الكمية والنوعية التي تحتلها الأمم الأخرى على هذه الشبكة. أما الإعلام فهو السلاح الجديد المتجدد، وهو الذي يثبت الحقائق أو يغيرها، ويقرب المسافات أو يبعدها، ولكم خطر في بالي أن أسأل الجمهور الكريم عن مصطلح عربي موحد اقترته المجامع العربية قبل نصف قرن من الزمان. يعرفه الناس أكثر مما يعرفون عن الأرهاب الذي ظهرت صورته وذاع صيته قبل سنوات فقط؟ إنه الإعلام وحده الذي ينشر المصطلح ويعممه ويوحده، أو يلغيه من ذاكرة الأجيال؟ ومما يؤسف له، أن عالمنا العربي يكاد يكون أقل أعم الأرض اهتماماً بالأعلام، لأن النظم السياسية تحتكره لنفسها وتعتبره ركيزة الاستقرار للاستقرار السياسي في الدولة. وهذه نظرة تنقصها الدقة.

التعليم العالي:

وبكل أسف ما زال التعليم عاجزاً عن أيجاد الإنسان المبدع القادر على مواكبة المتغيرات السريعة التي يشهدها أو سيشهدها القرن الجديد، وما زال استخدام الحاسوب ونظم المعلومات بعيداً عن مدارسنا وجامعاتنا إلا في بعض الأقطار العربية التي جعلت مادة المعلوماتية مادة رئيسية في المدارس والجامعات وهذا أمر لا بد منه للأرتقاء بالوعي المعرفي والعلمي ولا سيما في الجانب المعلوماتي⁽¹⁾.

1 - مجلة اللسان العربي، العدد 29 سنة 1987، دور مؤسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته، محمد مجيد السعيد، ص 149.

الألفاظ الأجنبية :

ويتساءل جيل الشباب من المبدعين عن أسباب استخدام بعض الألفاظ الأجنبية في كتاباتنا وفي الكتب المدرسية والجامعية، وكيف يسمح العلماء بها مثل الميكروسكوب والتلسكوب، والبروستاتة، الفسيولوجيا، البيولوجيا، البكتريولوجيا، الباروميتر، الفيروس، الهرمون، الميكروب، إلى غير ذلك من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية، وهم يتشدّدون في منع استخدامها ويعتبرون ذلك جريمة لا تغتفر للعلماء العرب⁽¹⁾.

المصطلح في القرآن :

ولست أظن أحداً منكم، مهما يكن دينه أو مهما بلغ حظه من الثقافة، يستطيع أن يماري في كون القرآن الكريم كما قال الله تعالى فيه « قرآناً عربياً غير ذى عوج » (الإسراء: 88) وأنه « كتاب مصدق لساناً عربياً » وكذلك « أنزلناه قرآناً عربياً » (يوسف: 2) كما لا يستطيع أحد أن يماري في أن القرآن هو معجزة الأعجاز في الفصاحة والبيان، لا في عصره فحسب بل في كل عصر وزمان، حتى لقد تحدى الله به الأنس والجن « قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (الزمر: 28). ومع ذلك لم يخل القرآن الكريم، العربي المبين من أكثر من مائة لفظ من الألفاظ الأعجمية، ما بين حبشية وفارسية وهندية ونبطية وسريانية وعبرانية ورومية وغيرها لماذا؟⁽²⁾ هي عجز القرآن عن أن يجد لتلك الكلمات الأعجمية بديلاً عربياً، رغم أن العربية من أغنى لغات العالم بالمشتقات، فعمد إلى اللغات الأجنبية يستجديها بعض الفاضلها، فيهدم ركن أعجازه المنقطع النظير؟!⁽³⁾

والحق أن اللغة العربية على وفرة غناها بالألفاظ والمصطلحات، كانت قد تسللت إليها قبل نزول القرآن عشرات ومئات من الألفاظ الأجنبية، بسبب اختلاط العرب في ذلك الزمان بالأحباش والفرس والروم والأنباط والهنود وغيرهم، ممن كانت تربطهم بهم رابطة التجارة أو الجوار، وهي ألفاظ جرى استعمالها على ألسنة العرب وكثر شيوعها وتداولها بينهم، حتى أصبحت وكأنها من مفردات العربية ومشتقاتها الأصلية، مثل: فردوس، قرطاس، فسطاس، تنور، صراط، متكأ، سجل، ياقوت، مرجان، إلى غير ذلك.⁽⁴⁾

1 - انظر: غرائب اللغة العربية، ص 284.

2 - المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 295-298.

3 - مجلة اللسان العربي، ع 39، سنة 1995، تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح، ص 320-321.

4 - المزهري في علوم اللغة، ج 1 ص 286.

وقد أنزل القرآن على النبي العربي باللسان العربي، أي بما كان العرب الذين بعث فيهم هذا الرسول يخاطبونه به فتنتطق به ألسنتهم من ألفاظ متداولة بينهم حتى ولو كانت غريبة عن لغتهم دون أن يطعن ذلك في القرآن أو ينقص من اعجازه وبلاغته، وقد يكون من الخير أن نقتطف فيما يلي بعض الألفاظ الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم والتي جمعها في كتابه العلامة « جلال الدين السيوطي » أحد أئمة التفسير في العصر العباسي وسنرى أن منها ما تشترك فيه أكثر من لغة وأن منها ما لا يتطرق الشك إلى أحد في أصالة عربيته⁽¹⁾.

ألفاظاً فارسية: سندس، استبرق، ديباج، اباريق، بيع، كنائس، تنور، جهنم، سجين، سقر، قرطاس، سلسبيل، اقفال، كافور، ياقوت، مرجان، كنز، سرادق، رس، روم.
ألفاظاً رومية: الفردوس، قنطار، القسطاس، الصراط، طفقا، فصرهن، الرقيم، القسط، القرطاس.

ألفاظاً سريانية: اليهم، صلوات، القمل، هيت لك، ولات، جنات، عدن، الاسفان طه، سريا، رهوا، سجدا.

ألفاظاً عبرانية: الرمز، الفوم، طوى، اليهم، الاواه، مرقوم، كفر، اخلد، هدنا، الاسباط، القسيسين، راعنا، حطه...

ألفاظاً نبطية: الفردوس، السفرة، اسفارا الخواريون، الطور، فصرهن، الملكوت، رهوا، هيت، سريا، كفلين، المقاليد، لاوزز، اليهم، اصرا.

ألفاظاً قبطية: المتكأ، مزجاة، بطائنها، مناص.

فإذا كان هذا هو واقع القرآن الكريم، فماذا يضيرنا أننا ابقينا على بعض الألفاظ العلمية والمصطلحات الفنية المتداولة في عصرنا تداولاً يكاد يكون عالمياً، حتى تكاد تكون أقرب إلى أسماء الأعلام، أو قصرنا محاولاتنا عن تعديلها تعديلاً بسيطاً يقربها إلى الجرس العربي بما يناسب المقام؟ ثم ألا يجب أن نسأل أنفسنا إذا لم نقبل بهذا الواقع المفروض علينا⁽²⁾، فما هو موقفنا من المصطلحات التي لم نجد لها ألفاظاً تقابلها؟ هل نقبل بها إلى حين تعريبها؟! ثم نعود لتصويب كتاباتنا وتقويم ألسنتنا؟! أم أننا نتحدث بها أجنبية ويتحدث بها أولادنا العربية؟! هل سيأتي يوم نحمل في جيوبنا قوائم المصطلحات المعربة وغير العربية لنكسر حاجز المصطلحات غير العربية؟!⁽³⁾

1- السيوطي، المرجع السابق، ص 301.

2- أنيس المقدسي، التحديث والتعريب في مواجهة الغزو الثقافي (مجلة الوحدة ع 3، ك 1 1984) ص 12-13.

3- المهذب فيما وقع في القرآن من العرب، جلال الدين السيوطي، ص 65.

واقع المصطلح العربي وتطوره:-

الواقع أن هذا الأمر لن يتحقق أبداً، ولن يأتي اليوم الذي تكون فيه كل المصطلحات قد عربت ووجدت مقابلات لها في العربية، إلا إذا توقف الزمن؟! إن اللغات كالناطقين بها تنمو وتزدهر، أو تذوى وتضمحل، تبعاً لناموس عام يشمل جميع الكائنات الحية، ويحدث النمو في اللغة بتأثير عاملين رئيسيين، أحدهما خارجي وهو ما يتسرب إليها من لغات أخرى، ثم يتأصل فيها مع الزمن حتى يصبح جزءاً منها، وقلما نجد لغة لم تتأثر كثيراً أو قليلاً بسواها.

فلا بد أن يكون في لغتنا ألفاظ وأوضاع دخيلة استقرت فيها على توالي العهود قد صارت تعد من فصيحها. وها نحن نستعملها في نثرنا وشعرنا فنقول المسك والبلور والترياق والأستاذ والبطاقة، والإبريق ومئات أمثالها دون أن نضعها بغربة الأصل. وقس عليها ما لا يحصى مما اقتبسناه حديثاً من ألفاظ العلوم والفنون والحضارة والحياة العامة. أما العامل الثاني فهو ما نشأ وما لا يزال ينشأ في داخل اللغة من ألفاظ استحدثت لأغراض ومعان جديدة. وهذا التولد الذاتي مستمر في اللغة منذ أقدم عهودها وهو يحدث عن طريق التحول المعنوي أي باكتساب لفظ لمعنى غير معناه الأصلي ومن ذلك استعمالنا مثلاً للفظ التوقيع: لأثبت الاسم في آخر الكتاب ونحوه والتوقيع في الأصل معناه التأثير فقط.

المقامة: لهذا النوع من القصص المسجع وهي في الأصل للمكان أو المجلس.

الدولة: للحكومة أو المملكة وأصل معناها انقلاب الزمن أو الحال.

الحضارة: للمدنية والعمران الاجتماعي وهي أصلاً ضد البداوة.

المضيضة: للفتاة التي تعني بركاب الطائرة وأصلاً من تستقبل الضيوف في بيتها.

وقد ألبسوا بعد الإسلام كثيراً من الألفاظ القديمة معاني جديدة فأصبحت أوضاعاً لغوية كالنحو والعروض والمجاز، أو فقهية، كالإيلاء، والعدة، والحضانة، أو إدارية، كالخليفة، والكتاب والوزير، أو طبية كالصداع والتشريح والخانوق وذات الرئة وما إلى ذلك من أوضاع فلسفية وفلكية وطبيعية. (1)

توليد المصطلحات:-

وقد يكون توليد الألفاظ عن طريق الوضع اللفظي كقولنا المذياع والدراجة والهاتف والجمهورية والتمدن والمصرف وأمثالها. أو عن طريق الوضع المجازي كالقوة الضاربة أي السلاح الكافي لضرب العدو. غسل يديه من المسألة: أي تبرأ منها. وضرب الرقم القياسي: أي تجاوزه

1- السيوطي، المصدر نفسه، ص72-74.

إلى حد أبعد. السوق السوداء: السوق التي يتعامل بها خفية تهرباً من التسعير القانوني. صاحب الكرسي: رئيس الجلسة المتولى إدارتها، ناطحات السحاب: الأبنية الشاهقة ذات الأدوار العديدة. صوت في المجلس: أي أبدى رأيه مؤيداً شخصاً ما أو قضية وغيرها. وهناك التوليد بالاشتقاق. كقولنا: قنن (من القانون) ومول (من المال) وتطور (من التطور) وقيم (من القيمة) واستجواب (من الجواب) لا من الفعل أ جاب.

غير أن القدماء عموماً وقفوا من المولدات وقفة الإنكار، أو عدم الاستحسان فأبقوها خارج حرم الفصاحة حتى أننا قلما نجد لها ذكراً في معاجمهم بل كانوا إذا ذكروها قالوا أنها غير عربية أصيلة فلا يحتج بها. وظل هذا نظرهم إليها حتى كانت النهضة الحديثة في القرن الماضي. فلما شرع بطرس البستاني⁽¹⁾ بوضع معجمه محيط المحيط معتمداً على القاموس المحيط للفيروزآبادي رأى أن يضيف إليه كثيراً من المولدات التي نشأت مع الزمن وعبرت في الاستعمال. إلا أنه لم يجرؤ على الجزم بفصاحتها فوقف عند نهاية حرف الراء في محيط المحيط ليقول معذراً: وقد أضفت إلى أصول الأركان (أي مواد الفيروزآبادي) فروعاً كثيرة وتفاصيل شتى وألحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد مما لا يتعلق بمتن اللغة. وذلك لكي يكون هذا الكتاب شاملاً يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل. وبهذا الاعتبار تنازلت إلى ذكر كثير من كلام المولدين وألفاظ العامة، منبهاً في أماكنها عن أنها خارجة عن أصل اللغة وعسى بذلك يتمهد لي العذر في هذا التساهل الذي ارتكبته⁽²⁾.

ومهما يكن من أمر فإن أهل العصر الحديث يعتبرون هذه الألفاظ ضرورة لا غنى عنها وقد أصبحت المعاجم الحديثة تقرأها، ففي المعجم الوسيط مثلاً وهو الذي صدر سنة 1960 بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة مئات منها ومما ورد في مقدمته وصف صريح لمنهج المجمع بقلم أمينه العام إذ قال⁽³⁾: - ونوسع في المصطلحات العلمية الشائعة ودعا إلى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة، وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين، شأنهم في ذلك شأن القدامي سواء بسواء وعمم القياس فيما لم يقس من قبل وأقر كثيراً من الألفاظ المولدة والمعرية الحديثة وشذ في هجر الحوش والغريب» وفي هذا التصريح الصادر عن ثقة في هذا الموضوع دلالة بينة على موقف العصريين من الكلام المولد ولا نبالغ إذا قلنا أن تفصيح المولد الجاري على أساليب اللغة قد أصبح شائعاً في الأوساط العلمية والأدبية لا ينكره إلا فئة قليلة جداً لا تزال تحصر نفسها في الماضي ولا تريد أن تخرج من عنق الزجاجة.

1- البستاني، محيط المحيط.

2- الفيروزآبادي، أبو طاهر القاموس المحيط.

3- مجمع القاهرة، المعجم الوسيط، المقدمة، ص 8-9.

ومعلوم أن التجديد لا يُقصد به الخروج عن قواعد اللغة المقررة في علوم الصرف والنحو والبيان، فالخروج عنها خطأ لا جدال فيه، وإنما يراد به إنشاء أو اقتباس صيغ صحيحة لم ينص عليها قبلاً، تملك ما لا يملك سواها من أكساب المعاني قوة أو روعة أو حسن بيان. ومما يهدينا إلى هذه الصيغ ويوطدها سليقة لغوية يؤديها الزمن، وكثيراً ما تصطدم هذه السليقة بالنصوص التقليدية فيحدث تنازع بينهما قد يستمر دهنراً طويلاً ثم لا يلبث هذا النزاع أن ينتهي غالباً بانتصار السليقة وهي ما يعرف عنه الجماعة بالذوق العام⁽¹⁾.

والواقع أن الذوق العام قوة لا يستهان بها، إذ عليه تتوقف حياة كثير منها أو ضياعها أو موتها، وشدة الغيرة حفاظاً على الأصول اللغوية المنقولة عن السلف قد تضيق مجال النظر عن بعض اللغويين فينحصر أهتمامهم في الأصح نقلاً عن الألفاظ في الأصلح للمعنى أو لأكثر استعمالاً ورواجاً عند الجمهور، وهكذا يسمحون لأنفسهم بوضع أمر إقرار ما لا يستسيغه الذوق العام فلا يلبث أن يموت أو يدرج في غياهب الأهمال فينساه الناس.

وهذا يعني أنه لا ضير في استخدام بعض المصطلحات الأجنبية في شتى العلوم والعلوم في وضع المصطلحات وتشجيع التعريب في أنحاء الوطن العربي لتكون لغة التعليم هي اللغة العربية، وإذا ما رافق عملية التعليم لهذا المصطلح العربي بصورة أساسية أو المعرب عند الضرورة في العلوم كلها، فإن ذلك يكون هو السبيل الصحيح للتعليم وهو البداية الصحيحة لسلوك طريق التفوق والقوة واسترداد الثقة بالذات.

وهنا أؤكد على أن في استخدام المصطلحات الأجنبية في شتى العلوم والمعارف، بل إن المصطلح سلعة يتطلب رواجها والأقبال عليها حاجة حقيقية لاستهلاكها وحرية دخولها جميع الأسواق، وقدرة المستهلكين على الانتقال في تلك الأسواق واختيارها بحرية بحيث يقبل الجميع في نهاية الأمر على استعمال المصطلح الجيد وإهمال منافسة الرديء فيصبح المصطلح الجيد موحداً تلقائياً.

وقد وجدنا أن أمر توليد المصطلحات لم يعد مسألة تخص أهل اللغة وحدهم وإنما أصبحت شأناً لصيقاً بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التي لا تتحقق إلا باستعمال مصطلحات علمية وتقنية موحدة متداولة في جميع أطراف الدولة لتيسر نقل المفاهيم العلمية والتقنية بدقة وأمانة⁽²⁾.

1- المصدر نفسه، ص 9.

2- فوزين محمد، أزمة التعريب، القاهرة، مركز الاهرام 2004م، ص 63-64.

ولا بد من التذكير بأن مظاهر التقدم والتطور في المجتمعات الإنسانية أصبحت اليوم تقاس بمدى قدرة هذه المجتمعات على استيعاب الكم المتسارع من المصطلحات وتداولها، سواء وجدت مقابلات لها أم لا تجد، إذ لا يعقل أن ينتظر العاملون في المصارف العربية قرارات مجامع اللغة التي تزودهم بمصطلحات التجارة والنقد والمصارف ومثل ذلك بالنسبة إلى الاقتصاد والتجارة والإعلام والسياحة وغيرها. ولا أحسب أن مجامع اللغة العربية بإمكاناتها المادية والعلمية قادرة على تعريب المصطلحات العلمية الجديدة المتجددة في كل حقول العلم والمعرفة، والرأي عندي الاستمرار في تشجيع عملية التعريب في الوطن العربي لتكون لغة التعليم هي اللغة العربية. وإذا كنا نقدر بكل إجلال الجهود التي بذلتها وما زالت تبذلها المنظمات الثقافية والمؤسسات التربوية التي ما فتئت تعمل بجهد وأهتمام من أجل توفير الوسائل العلمية التي تعين على إيجاد المصطلحات والرموز العلمية وتوحيد دلالتها ونشر استعمالها، وهي جهود مشكورة ومباركة، إلا أننا مازلنا نرى الناس مختلفين حول المصطلح العربي أو المعرب، فهل نأخذ بالمصطلح الأجنبي كما هو أم نهذه بالتعريب؟⁽¹⁾

دور المؤسسات العلمية والثقافية في نشر المصطلح:

وإذا كان بإمكان هذه المؤسسات الثقافية وهذه المجامع اللغوية حل مشكلة وضع المصطلحات فإن تعدد هذه المجامع أسهم في زيادة حدة ازدواجية المصطلحات العربية على مستوى الوطن العربي حيث صدر عن هذه المجامع أحياناً مصطلحات عربية مختلفة للتعبير عن المفهوم الواحد إضافة أن بطء الإجراءات المعجمية أدى إلى وضع عدد ضئيل فقط من المصطلحات العلمية والتقنية المطلوبة بالقياس إلى الكم الهائل المتدفق من المفاهيم العلمية والمخترعات التقنية والحضارية الوافدة بحيث اضطرت المؤسسات المستهلكة للمصطلحات في البلاد العربية مثل المصارف ووسائل الإعلام وطرق التجارة إلى الاستمرار في توليد المصطلحات وعدم إنتظار المجامع اللغوية⁽²⁾. وهذا أخذ بعضهم يعزو ازدواجية المصطلح العربي إلى تعدد المجامع اللغوية العربية ولقيت الدعوة إلى إنشاء مكتب تنسيق جهود هذه المجامع قبولاً أدى في نهاية المطاف إلى إنشاء مكتب تنسيق التعريب. وقد لاحظ المسؤولون في مكتب تنسيق التعريب أن أحد أسباب ازدواجية المصطلح العربي هو إنطلاق واضعيه في المشرق العربي من المصطلح الإنجليزي في حين أن واضعيه في المغرب العربي ينطلقون من المصطلح الفرنسي، وبادر مكتب تنسيق التعريب إلى

1- عبد الحليم منتصر، مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العملية لحلها، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج13، 1971.

2- مجلة اللسان العربي، ع29 سنة 1987، دور مؤسسات التعليم العالي، ص147.

طرح توصيته على مرور مؤتمرات التعريب تقضي بأن تكون اللغة الإنجليزية هي المصدر الذي ينطلق منه وضع المصطلحات العلمية العربية. ويمكن الاستعانة بالفرنسية كمصدر قانوني. إلا أن اعتماد لغة واحدة مصدراً لتوليد المصطلحات العلمية لم يحل دون ازدواجية مفهوم المصطلح العلمي الواحد⁽¹⁾. فظهرت الدعوة إلى وضع منهجية موحدة لتوليد المصطلحات العربية ومع ذلك ظلت علة ازدواجية المصطلح العربي قائمة رغم الجهود الطويلة لتوحيده ابتداء من الستينات في القرن الماضي إلى أيامنا هذه.

إمكانية توحيد المصطلح العلمي العربي لو توفر له شرطان:

الشرط الأول: تعريب التعليم والإدارة تعريباً كاملاً ناجزاً وعدم استخدام لغات أخرى في التعليم العالي أو الإدارة أو التجارة أو الإعلام أو غيرها من المجالات داخل الوطن العربي وهذا يتطلب قراراً سياسياً ملزم التطبيق.

والشرط الثاني: فتح الأسواق العربية أمام المصطلح العربي ليسهل تداوله وانتشاره، وهذا يعني انتقال المطبوع العربي من كتاب ورواية بحرية تامة في الأسواق العربية دون حدود مصطنعة بين الأقطار ودون قيود جمركية وصعوبات تتعلق بتحويل العملة. كما يعني ذلك حرية المواطن العربي في الإستماع إلى الإذاعة العربية وحرية في مشاهدة محطات التلفزة وحرية المؤسسات التعليمية في اختيار كتبها المدرسية ومصادرها ومراجعها مهما كان أُنتماء هذه الكتب أو هوية تلك المراجع.

ولا بد من النظر إلى وسائل نشر المصطلح بجدية أكثر وواقعية تحقق للمصطلح الموحد ذيوماً وقبولاً لدى مستخدميه. فالصحافة اليومية مثلاً لها قدرة أكثر من غيرها في نشر المصطلح لدى قطاعات واسعة من الجماهير بينما تلعب المجلات الأسبوعية دوراً أكثر خصوصية من الجرائد إذ أن طبيعة جمهورها يرتبط إلى حد ما بنوعية قرائها واهتماماتهم ومستوياتهم الثقافية. وإذا انتقلت إلى الدوريات المتخصصة فإن لها الدور الأكبر في توحيد المصطلح ونشر المصطلح الموحد بين المتخصصين⁽²⁾.

ويعتبر الكتاب أهم الوسائل الاتصالية التي تعزز نشر المصطلح ويمكننا الإشارة إلى ثلاثة أنواع من الكتب، وهي الكتاب التعليمي والكتاب العلمي والكتاب الثقافي العام. ولا ننسى ما للإذاعة والتلفاز من دور في نشر المصطلح فهما وسيلتان اتصاليتان تحاصران المرء كل يوم ومن خلال برامج الإذاعة والتلفاز تصل إلى أذن السامع مصطلحات جديدة علمية أو سياسية أو اقتصادية.

1- مجلة اللسان العربي، ع39 سنة 1995، دور مؤسسات التعليم العالي، ص49 - 52.

2- مجلة اللسان العربي ع39، 1995، دور وسائل الاعلام في نشر المصطلح الموحد وإشاعته، ص203 - 204.

وإذا كان لنا من كلمة في نهاية هذه الإضاءة، فتحية كبيرة نزجّيها للمواقف الجريئة التي تسلح بها أساتذة الفكر ورواد النهضة العربية حينما كسروا حاجز المصطلح العربي واستعانوا بالمصطلحات والألفاظ المولدة. ولأسباب كثيرة لا حصر لها ندعو إلى الاقتداء بهم وعدم انتظار ما تنجزه الجامعات والهيئات العلمية والعاكفة الآن على تعريب المصطلحات العملية مظهرة عجزها الكامل عن القدرة في تعريب هذا الكلم الهائل من المصطلحات الذي تفرزه الحضارة الإنسانية في شتى ضروب الفكر ومناحي الحياة، ولا يعتبر ذلك انتقاصاً من قيمة اللغة العربية ولا طعناً في قدراتها الواسعة وإنما هي تقلبات الزمان وتغير الأحوال، وتعاقب الليل والنهار.

المقترحات :

ولا بد من الإشارة إلى أن المصطلح العربي لم يكن موحداً في يوم من الأيام لا قبل الإسلام ولا بعد الإسلام وهذا أيضاً لا يشكل طعناً في قوميتنا العربية ولا انتقاصاً من أمة الإسلام ووحدتها الدينية غير أننا نستطيع أن نقلل من آثار هذين العنصرين الهامين في مجال توحيد المصطلح العربي ونشره، بالإنتاج الإعلامي والسماح بتدخل المطبوعات بين الأقطار العربية دون قيد أو شرط، وليتنا نتوصل إلى توحيد المنهاج الدراسي في كل الأقطار العربية فهذا وحده كفيلاً بإتخاذ خطوات جريئة نحو توحيد المصطلح العلمي العربي، بالنسبة للأجيال القادمة، ولا بد من إيلاء التعليم العلمي الجامعي أهمية خاصة، بالتنسيق بين الجامعات العربية من أجل توفير برامج علمية موحدة للكلية العلمية، فهذه درجة رئيسية في سلم توحيد المصطلح العلمي العربي. فلماذا لا تكون هناك لجان منتخبة في الكليات العلمية في الجامعات العربية تحدد في كل سنة ما تحتاج إليه من مراجع علمية باللغة العربية ثم يعهد بهذه المراجع إلى لجان الترجمة والبحث لإنجازها في الزمن المحدد ويتم توزيعها ودفع نفقات طباعتها بين الجامعات العربية. وأحسب أن تكلفة سعر الكتاب يكون أقل وفي متناول جميع الطلاب العرب.

كما لا يفوتنا التذكير بضرورة عدم اقحام اللهجات العربية باللغة السليمة فنحن لا نفهم على المتكلم في المغرب العربي إلا إذا تحدث باللغة العربية السليمة كما هو الحال في نشرات الأخبار أو الخطابات الرسمية. ولا يجد أهل المشرق متعة في متابعة المحطات الفضائية المغربية إذا كانت باللهجات المحكية، فمهما عربنا من مصطلحات ووحدناها فإن اللسان وحده القادر على تثبيتها وإشاعتها ويضمن لها الاستمرارية والبقاء. فهذه دعوة أخرى إلى تحجيم اللهجات العامية وإيلاء اللغة السليمة أهمية خاصة بين الناس وبخاصة في بلاد المغرب العربي. ولا أحسب في ذلك صعوبة ما دام المواطن العربي يستطيع أن يتحدث الفرنسية بطلاقة رغم ما تحتاج إليه من دقة في اللفظ والتفريق في الدلالة.

الخاتمة:

إن من واجبنا أن نحاسب أنفسنا ما الذي قدمناه للعلم والحضارة الإنسانية العلمية؟ ما هي المخترعات والمكتشفات؟ وللأسف الشديد فإننا ما زلنا ندّعي بأن كل ما توصل إليه العالم وما سيتوصل إليه في المستقبل موجود عندنا في القرآن الكريم ونكتفي بهذا القول كمساهمة منا في صنع الحضارة. فهل هذا دورنا فقط؟ وهل كتب علينا الأحماء بذكريات الماضي البهيج والتغني بإمجاد ليست من صنعنا نحن؟ إن المؤلفات القديمة بكل ما فيها من جمال وروعة وبيان لم تغن شيئاً. ولم تدفع بنا إلى عصر العلم والإبداع والتطور، وهي تشير إلى ماضينا وتذكرنا بإمجادنا مقتصرة على تعديد الأسماء وسرد المؤلفات الإنسانية، في الوقت الذي يطلق فيه على هذا العصر «عصر العلم والتكنولوجيا».

ويبدو أن وقوفنا عند حواجز تعريب المصطلح وانتظار ما يقابله في لغتنا العربية الجميلة أخرجنا من الحياة العصرية ووضعتنا في دائرة الجمود والتمنيات المريرة، فركنا إلى الماضي بنوع من الاستسلام والنوم على الحلم البعيد دون أن نغير كثيراً بالالتفات إلى الحاضر والمستقبل فكان العالم يتحدث عن العلم والتقدم ويزيد في إنجازاته العلمية والحضارية بينما انشغل أساتذتنا في الجامعات طوال قرن من الزمان بالبحث في أهمية التعريب وعدم التعريب ولا أدري متى سينتهون؟.

وقد أجد من يختلف معي في الرأي، وهذا أمر طبيعي في الفكر الإنساني، وأتمنى أن يكون هذا الاختلاف في حدود المنطق وأن لا يصل إلى درجة التناقض والعداء، وانبه هنا إلى أن الاختلاف في الرأي أصبح عندنا اليوم يعبر عن نفسه بأسلوب جديد وهو اختلاف يظهر في عدم بذل أي جهد حقيقي من أجل الاتفاق، كما أن الاختلاف في الرأي لا يعني أن أحد المختلفين على صواب كامل وأن الآخر على خطأ كامل، فالحقيقة المطلقة لا يستطيع أحد أن يدعي أنه وحده الذي يلم بها ويملكها وأن غيره محروم منها تماماً. ولا أزعم بأن هذه الورقة على قدر ما طرح فيها من أفكار تحتل الكلمة الأخيرة بالنسبة إلى ما يقدم من قضايا وموضوعات في هذا العدد.

الهوامش ومراجع البحث

- 1- محمد مجيد السعيد، مجلة اللسان العربي، ع29 سنة 1987.
- 2- رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة العربية، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1969.
- 3- المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت: دار الفكر، 1964.
- 4- عودة أبو عودة، مجلة اللسان العربي، ع39، 1995.
- 5- السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (19-).
- 6- المصدر نفسه، ص301.
- 7- المقدسي، أنيس، التحديث والتعريب في مواجهة الغزو الثقافي (مجلة الوحدة، ع3-ك1 1984).
- 8- السيوطي، جلال الدين، المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق التهامي الراجي الهاشمي، المغرب: صندوق إحياء التراث الإسلامي مع دولة الإمارات العربية، (197-).
- 9- المصدر نفسه، ص72-74.
- 10- بطرس البستاني، محيط المحيط.
- 11- الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، المتوفي (817هـ-1415م)، القاموس المحيط، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، 1330هـ.
- 12- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: المجمع، 1960.
- 13- المصدر نفسه، ص9.
- 14- فوزي، محمد، أزمة التعريب، القاهرة: مركز الأهرام، 2004م.
- 15- منتصر، عبد الحليم، مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العملية لحلها، القاهرة: مجلة المجمع، ج13، 1971.
- 16- محمد مجيد السعيد، مجلة اللسان العربي، ع29، سنة 1987.
- 17- شحلان، أحمد، مجلة اللسان العربي، ع39 سنة 1995.
- 18- أبو أصبع، صالح، مجلة اللسان العربي، ع39 سنة 1995.